■ الفصل الثاني

مقر القيادة الميدانية للواء السودان الجديد

(هيبة المكان.. وكاريزما القيادة)

نعم كانت لجنة التسيير مهمومة بإعداد نساء الأراضي المحررة لذلك الحدث في تلك الظروف المعقدة التي تعيشها المنطقة من تقاليد وعادات ومفاهيم تجعل عمل كهذا محاط بالكثير من مهددات الفشل، سعت لجنة التسيير لإعداد زيارة للأراضي المحررة بغرض الحشد وتعبئة النساء والرجال معاً لفكرة المؤتمر كأول حدث خاص بالنساء في هذه المناطق، وبالفعل وبمساعدة الأمين العام للتجمع الوطني نجحنا في القيام بزيارة وطواف القطاعات المختلفة للأراضي المحررة، بدأت بزيارة القطاع الأوسط وقطاع همشكوريب حيث تتبع لهما معظم الأراضي التي كانت تقع تحت سيطرة التجمع الوطني الديمقراطي، تمت الزيارة بوفد قوامه ثلاث نساء كما أشرنا في الباب الأول_الفصل الخامس (طواف وتداعيات) منى أحمد عوض، إحسان علي إبراهيم وشخصي، قام الأمين العام بواسطة مكتبه بعمل الترتيبات اللوجستية والأمنية اللازمة للتحرك مع جهات

الاختصاص وبالتنسيق مع منظمة (اى. أر. سى) لتوفير العربة التي تقلنا إلى ربده مقر القيادات الميدانية لفصائل التجمع الوطني)، وبتنسيق آخر مع قيادة (لواء السودان الجديد) بربدة لتوفير العربة اللازمة للطواف بالأراضي المحررة وكذلك حرس الحماية اللازم للوفد، هكذا بدأ تعاون الأمين العام معنا .. بدايات أصبحت فيما بعد لها تداعياتها الإيجابية على التجمع النسوي وعلى قضية المرأة بشكل عام.

بدأت زيارتنا بزيارة معسكر قوات الفتح بربدة (الجناح العسكرى للحزب الاتحادي الديمقراطي) والذي قام باستضافتنا حيث قضينا الليلة الأولى معهم بالمعسكر والذي كان بقيادة المقدم سيف الدين شريف و المقدم محمد صالح بينما كان القائد العام لقوات (الفتح) هو القائد/ محمد الحسن حاج ماجد ومقره في خور ملح .أكرمت القيادة العسكرية لقوات الفتح الوفد الزائر بقدر كبير برغم كل الخلافات التي كانت تدور بين التجمع النسوي والقيادات السياسية للحزب المتواجدة بأسمرا كما ذكرنا ذلك في (طواف وتداعيات) بالباب الأول. قضينا اليوم الأول ونهار اليوم الثاني في زيارة معسكرات قوات فصائل التجمع الوطني المختلفة، (قوات التحالف الفدرالي)، (قوات مجد- الجناح العسكري للحزب الشيوعي السوداني) وختمنا مساءً بزيارة معسكر القيادة الميدانية للجيش 'لشعبي (لواء السودان الجديد) وكان حينها بقيادة بيتر وال وينوبه توماس سيريلو الذي تولى القيادة فيما بعد حتى توقيع اتفاقية السلام، لقاؤنا ببيتر وال ونائبه كان الأول بالنسبة لنا، وكذلك دخول مقر القيادة العسكرية للواء السودان الجديد كان الأول أيضاً، كل ذلك يجعل لتلك الزيارة طعم خاص.. هذا بالإضافة لهيبة المكان الذي يشكل عصب العمل العسكري بالجبهة الشرقية (لواء السودان الجديد) والذي كان جزءاً من (الجيش الشعبى لتحرير السودان) ولكنه حمل هذا الاسم في شرق السودان ليواكب فكرة (مشروع السودان الجديد) الذي كان مطروحاً في تلك الفترة من قبل الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة القائد العظيم (د . جون قرنق دى مبيور) ذلك الرجل الذي كان اسمه يزلزل الأرض تحت أقدام جنرالات الجيش السوداني، وكانت الجبهة الشرقية هي رابع الجبهات التي قادها لتحرير الشعوب المضهدة والمهمشة ليكمل حلقة تحرير السودان ويعلم الأجيال كيف تنتزع الحقوق، بالتأكيد كل هذه الحقائق تجعل مرْ يكون قادماً لأول مرة إلى هذا المكان أن يضع في نفسه ألف حساب وحساب لمثل هذه الزيارة، تمّ استقبالنا في المدخل الخارجي «البوابة الرئيسية» حيث يوجد بالخارج عدد من العساكر

المدججين بالسلاح، قادنا أحدهم إلى الداخل حيث تم تسليمنا إلى رفيق آخر، مررنا بعدة مداخل كانت تفصل بينها أسوار منسوجة من القش وتتوزع بداخلها غرف من الطين ذات أبواب من الزنك وفي آخر المداخل التي قادنا إليها وجدنا بيتر وال وتوماس سيريلو في انتظارنا في (الحوش) الذي فرشت على أرضه رملة نظيفة بيضاء وعلى شكل دائري رصت كراسي كنا نعرف من قبل أنها من إبداعات (الجيش الشعبي)، تصنع من جريد الدوم وأعواد أشجار النبق، ما زالت حتى تلك اللحظة تسيطر علينا هيبة المكان وهيبة الجيش العظيم الذي ظلّ على مدار عقدين من الزمان يحارب لأجل الحرية والعدالة والمساواة، وقف القائدان لاستقبالنا في ترحاب سوداني أصيل كسر حاجز العسكرية في إحساسنا، جلسنا، تبادلنا أطراف الحديث وكانت في انتظارنا زجاجات البيبسى وقد طال الأمد بيننا وبينها، كانت صناعة سودانية، ونحن المقيمين بإريتريا لا تصل إلينا منتجات (شركة البيبسى) مثل الميرندا والسفن أب وغيرها حيث تتعامل إريتريا مع (شركة الكوكا كولا) فقط ولا أدري سر ذلك كغيره من الأسرار الكثيرة التي تكتنف حياة الغموض في (إريتريا)، بدأنا الحديث بالتعليق على ذلك، ومنذ البداية كان واضحا اننا أمام قيادات مختلفة وكاريزما قيادية مختلفة، ذلك الاختلاف الذي تميزت به قيادات (الحركة الشعبية) صاحبة مشروع السودان الجديد المختلف، كانت الجلسة بطعم البلد ورائحة البلد، ذلك الإحساس ظلّ يراودني كلما ذهبت إلى (ربدة)، ففيها أشتم رائحة الطين والأهل والأحباب، ربما كان ذلك لموقع (ربدة) التي كانت على مرمى حجر من الوطن، وفي كل مرة كنت أعود منها أزداد إحساسا بأن السودان الجديد لابد أن يكون يوماً وان (طال السفر) ولم يخطر بالبال لحظة بأن البلد من الممكن أن تصبح بلدين، وان كانت لها قصة قديمة هي التي نسجت مراحل ذلك الانفصال . كما رواها «د. منصور خالد» في سفره (أهوال الحرب وطموحات السلام.. قصة بلدين)، بعد تبادل بعض الحديث والمجاملات عرجنا إلى موضوع الزيارة، أخبرنا (بيتر وال) بعدم جاهزية عربة الطواف التي ستقودنا إلى الأراضي المحررة، وقال لنا لن تكون العربة جاهزة قبل السادسة من مساء الغد، وبالتالي سيكون السفر صباح بعد الغد، لم ترُق لنا فكرة الانتظار، وربما لاحظ ذلك فأردف موضحاً:لا نميل للسفر ليلاً لما يحيط بذلك من مخاطر أولها هجوم العدو عادة ما يكون بعد مغيب الشمس، ثانياً مراقبة العدو للعربات المتحركة بعد حلول الظلام تسهل عليه عملية استهدافها، هذا بالإضافة لوعورة الطريق الجبلي إلى منطقة (خور ملح) مما قد يعرض العربة لأي عطل كان، كل

هذه المبررات لم تقلل من حماس الوفد وإصراره على السفر مساء لكسب الوقت، وفي محاولة أخرى لإقناعنا بالتأجيل وجه إلينا (بيتر وال) سؤالاً: لو حصل هجوم بتضربوا نار؟ على الفور ردت إحسان علي إبراهيم: عندنا فكرة وجاهزين الآن لأي تدريب إضافي. وللمزيد من التعجيز أردف (وال) قائلاً:(ولو العربية اتعطلت بتدفروها ؟) ردت إحسان علي إبراهيم وهي أكثر حماساً وقالت: أكيد أكيد .. التفت (بيتروال) نحو توماس ضاحكاً وقال : (واضح أننا قدام مقاتلات على أتم الاستعداد) .. إذن تجهز العربة وتتحرك مساء الغد.

رافق الوفد القائد أحمد عبد الرحمن قائد (قوات المجد)، بدأنا طوافنا (بخور ملح وبلاسيت) ، وفي بلاسيت عقدنا أول اجتماع كلجنة تسيير كاملة العدد في قاعة (الشهيد يوسف كوة) بمقر قيادة لواء السودان الجديد، أمنّ الحضور على موعد ومكان انعقاد المؤتمر ثم تواصل طوافنا وشمل القطاع الأوسط وقطاع همشكوريب، كانت الزيارة موفقة بحيث مهدت لقيام مؤتمر ناجح بدرجة أدهشت المراقبين من الفصائل المختلفة والإعلاميين، كما أدهشتنا نحن برغم ما بذلته لجنة التسيير لأجل هذا الهدف. ولكن نسبة الحضور فاقت كل التصورات، العدد الكبير الذي حضر المؤتمر من نساء البجا كان مدهشاً حقاً، والدهشة هنا مشروعة نسبة للظروف الاجتماعية وقيود التقاليد التي تفرض حصارها على النساء وسنتناول تفاصيل ذلك في (الفصل السادس) من هذا الباب تحت عنوان (مجتمع البجا .. صورة مكبرة) .